المجلد الثالث
العدد السادس
سبتمبر 2025

مجلة جامعة درنة للعلوم الإنسانية والاجتماعية
DERNA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
Available online at https://dujhss.uod.edu.ly/
P-ISSN: 2959-6475 E-ISSN: 2959-6483 Impact Factor: 0.82

أثر البلاغة القرآنية في إعجاز الآيات العلمية

د.أحمد فتح الله إسماعيل

أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة درنة

dahmed.fathallah@gmail.com

https://www.doi.org/10.58987/dujhss.v3i6.33

تاريخ الاستلام: 2025/06/30 ؛ **تاريخ القبول:** 2025/08/10 ؛ **تاريخ النشر:** 2025/09/01

المستخلص

تنوعت الآراء حول أنواع الإعجاز في القرآن الكريم، ثم تعددت الأقوال حول تقديم بعضها على بعض، وقول الجمهور متقرر بأن إعجاز القرآن يدور على بلاغته؛ لأن توافر البلاغة فيه لا يتخلف عنه إطلاقاً من أوله إلى آخره، وهذا لا يكون في الأنواع الأخرى من الإعجاز، نحو: الإعجاز الغيبي، والعلمي، والتشريعي، وتكمن أهمية هذا البحث في بيان أن البلاغة القرآنية هي الوعاء الحامل لكل أنواع الإعجاز الأخرى، ومن أبرزها الإعجاز العلمي؛ ولهذا فإن الغرض من هذا البحث هو الكشف عن اتساع هذه البلاغة وعمقها في التعبير الدقيق عن آيات الإعجاز العلمي؛ ولتحقيق هذا الغرض يتبع الباحث منهجاً استقرائياً تحليلياً للوصول إلى تلك الغاية، واقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى ثلاثة مباحث، المبحث الأول: نظم الآيات في الإعجاز العلمي على مستوى الكلمة المفردة، والثاني: على مستوى الجملة، والثالث: على مستوى الصورة، ويختم البحث بأهم النتائج والتوصيات.

الكلمات المفتاحية: إعجاز القرآن _ البلاغة القرآنية _ الإعجاز العلمي.

المجلد الثالث
العدد السادس
سبتمبر 2025

مجلة جامعة درنة للعلوم الإنسانية والاجتماعية
DERNA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
Available online at https://dujhss.uod.edu.ly/
P-ISSN: 2959-6475 E-ISSN: 2959-6483 Impact Factor: 0.82

Abstract

Opinions have varied regarding the types of miracles in the Holy Quran, and various opinions have emerged regarding the priority of some over others. The majority of scholars agree that the Quran's miraculous nature hinges on its eloquence, as the presence of eloquence is unmistakable throughout, from beginning to end. This is not the case with other types of miracles, such as the unseen, the scientific, the legislative, and others.

this research lies in demonstrating that the eloquence of the Qur'an is the vessel that carries all other types of miracles, the most prominent of which is the scientific miracle. Therefore, the purpose of this research is to reveal the breadth and depth of this eloquence in accurately expressing the verses of scientific miracles To achieve this goal, the researcher follows a precise analytical inductive approach. The nature of the research necessitated dividing it into three sections: the first section: the organization of verses in scientific miracles at the level of the single word; the second section: at the sentence level; and the third section: at the level of imagery. The research concludes with the most important findings and recommendations.

***Keywords*:** Miracle of the Qur'an, Qur'anic rhetoric, scientific miracles

مقدمة

بسم الله وحده، والصَّلاة والسَّلام على من لا نبيَّ بعده، أما بعد:

فليس من شأن هذا البحث أن يورد حقائق المكتشفات العلميّة على وجه التفصيل، وإنّما شأنه أنَّ يبحث في النظم القرآني الذي حوى الإشارات إلى تلك المكتشفات؛ ولهذا سيكون التركيز على الجانب البلاغي، دون العلمي، وتكفي الإشارة منه إلى ما يهمُّ في الجانب البلاغي؛ لتوضيح العلاقة بين الجانبين، وحسب هذا البحث أن يشير إلى أهمية هذا الموضوع الغائر في خضم التفاسير الحديثة، ومحاولة إظهاره وإشهاره؛ للوصول إلى الغاية وهي أنَّ الإعجاز البلاغيَّ والإعجاز العلميَّ أخوان صنوان لا يفترقان؛ والمتأمِّل في ما كُتب حول إعجاز القرآن يرى ملامح الفصل في دراسة وجوه الإعجاز، والصواب ألّا يظن الفصل بينها؛ وإذا صحَّ قول الجمهور: إنَّ الوجه الأعلى للإعجاز هو الوجه البلاغيُّ الذي تحدى الله تعالى به العرب، فإنَّ هذا الوجه هو الذي يضمُّ كل ما يقال بعده من وجوه الإعجاز، نحو: الإعجاز العلمي، والتشريعي، والتاريخي، وغير ذلك، فهي جميعاً وصف لهذا الإعجاز، أو خصائص له؛ ولأنها جواب عن سؤال: كيف حدث الإعجاز؟، أما البحث في ماهية الإعجاز، أي: ما حقيقة هذا الإعجاز؟ فالجواب بكل اختصار وسهولة: هو أنَّ القرآن الكريم كلام الله تعالى، أي أنه من صفاته، ففيه الحكمة كلها، والعلم كله؛ ولذلك فهو معجز. والغرض من هذا البحث هو الكشف عن

المجلد الثالث
العدد السادس
سبتمبر 2025

مجلة جامعة درنة للعلوم الإنسانية والاجتماعية
DERNA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
Available online at https://dujhss.uod.edu.ly/
P-ISSN: 2959-6475 E-ISSN: 2959-6483 Impact Factor: 0.82

أثر البلاغة القرآنية في بيان الإعجاز الخاص بالآيات العلمية؛ وإذا كان الإعجاز العلميُّ _المقطوع بصحته في تلك الآيات _ ساطعاً باهراً لكل متأمل؛ فمن باب أولى أن تكون البلاغة القرآنية ساطعةً باهرة كذلك؛ ولتحقيق هذا الغرض يتبع الباحث منهجاً استقرائياً تحليلياً دقيقاً للوصول إلى تلك الغاية، واقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى ثلاثة مباحث، الأول: البلاغة في آيات الإعجاز العلمي على مستوى الكلمة المفردة، والثاني: على مستوى الجملة، والثالث: على مستوى الصورة، ويحوي كل مبحث ثلاثة مطالب _وفق المستويات السابقة_ المطلب الأ ول: البلاغة في آيات الإعجاز الغيبي، والثاني: البلاغة في آيات الخلق، والثالث: البلاغة في آيات الكون.

المبحث الأول: البلاغة في آيات الإعجاز العلمي على مستوى الكلمة المفردة

المطلب الأول: بلاغة الكلمة في آيات الإعجاز الغيبي

في هذا المطلب تتجلى أهمية الكلمة المفردة من حيث أثرها البلاغيُّ، مما يوضح أنَّ الاستعمال القرآنيَّ قد قصدها دون غيرها؛ ويؤكد أنَّ القرآن قد حفظ معناها وبلاغتها في السياق الذي وردت فيه، وعلى هذا شواهد كثيرة، من ذلك قوله تعالى:{يابني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإيَّاي فارهبون} [البقرة: 40]؛ فكلمة "العهد" جاءت في سياق الخطاب لبني إسرائيل (باللفظ المعروف عندهم في كتبهم؛ فإنَّ التوراة المنزَّلة على موسى _عليه السَّلام_ تلقب عندهم بالعهد؛ لأنَّها وصايات الله تعالى لهم؛ ولذا عبر عنه في مواضع من القرآن بالميثاق، وهذا من طرق الإعجاز العلمي الذي لا يعرفه إلا علماؤهم) (ابن عاشور: 1984م،1/451)، وهنا تتجلى دقة التعبير، وكذلك المحافظة على دلالة المفردة الواحدة بين العهد والميثاق، وقريب من هذا قوله تعالى: {وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا...}[البقرة:93]، حيث إنه (من دلائل النبوَّة والمعجزات العلميَّة إشارات القرآن إلى العبارات التي نطق بها موسى في بني إسرائيل، وكتبت في التوراة؛ فإنَّ الأمر بالسَّماع تكرَّر في مواضع مخاطبات موسى لملأ بني إسرائيل بقوله: اسمع يا إسرائيل، فهذا من نكت اختيار هذا اللفظ للدَّلالة على الامتثال دون غيره ممَّا هو أوضح منه) (ابن عاشور،1984م،1/610)، وعلى هذا السبيل جاء التعبير بالملك دون فرعون في سورة يوسف عليه السلام؛ لأنَّ الحكم في زمن يوسف لم يكن للفراعنة؛ وإنما كان لقوم آخرين تغلبوا عليهم، وسمُّوا بالملوك (ينظر: ابن عاشور،1984م، 1/ 280 ، وطنطاوي،1998م، 7/367)، والفائدة مما سبق أن السياق

المجلد الثالث
العدد السادس
سبتمبر 2025

مجلة جامعة درنة للعلوم الإنسانية والاجتماعية
DERNA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
Available online at https://dujhss.uod.edu.ly/
P-ISSN: 2959-6475 E-ISSN: 2959-6483 Impact Factor: 0.82

القرآنيَّ التاريخيَّ ينبّه إلى الفروق بين الكلمات، كما أنه بذلك يحافظ على معانيها، ودلالاتها التاريخية، وفيها بيان مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

المطلب الثاني: بلاغة الكلمة في آيات الخلق

ومن لطيف استعمال الكلمة المفردة ما جاء وصفاً للّبن بأنه خالص، وسائغ؛ كما قال تعالى: {وإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ}[النحل: 66]،(فخلوصه: نزاهته ممَّا اشتمل عليه البول والثفل، وسوغه للشاربين: سلامته ممَّا يشتمل عليه الدَّم من المضار لمن شربه؛ فلذلك لا يسيغه الشارب ويتجهَّمه، وهذا الوصف العجيب من معجزات القرآن العلميَّة؛ إذ هو وصف لم يكن لأحد من العرب يومئذ أن يعرف دقائق تكوينه، ولا أن يأتي على وصفه بما لو وصف به العالم الطبيعيُّ لم يصفه بأوجز من هذا وأجمع)(ابن عاشور،1984م/201)، وهذا الوصف بأنه أوجز وأجمع؛ يصلح لأن يكون من إيجاز القصر، الذي يحتوي على معانٍ كثيرة، وهذا من دقائق النظم القرآني، أن تكون الكلمة محتوية على دقائق العلوم الحديثة، التي تشرح في صفحات أو كتيبات، والخلاصة أنَّ النظم هنا قائم على الإيجاز؛ يرى الباحث أن ذلك لأسباب منها: أداء الغرض بأقل عدد من الكلمات، وأن تكون الكلمة الواحدة منطلقاً لفتح آفاق واسعة من العلوم، ومن الشواهد على ذلك أيضاً قوله تعالى:{ولَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ}[المؤمنون: 12-14]،يلاحظ اختيار الوصف بالعلقة؛(ومن إعجاز القرآن العلمي تسمية هذا الكائن باسم العلقة؛ فإنَّه وضع بديع لهذا الاسم؛ إذ قد ثبت في علم التشريح أنَّ هذا الجزء الذي استحالت إليه النُّطفة هو كائن له قوَّة امتصاص القوَّة من دم الأُم؛ بسبب التصاقه بعروق في الرَّحم تدفع إليه قوَّة الدَّم، والعلقة: قطعة من دم عاقد)،(ابن عاشور،1984م،24/18،23،وينظر:ابن منظور،1993م، مادة (علق) 267/10)، ومعلوم أن هذا الوصف صار كالعلم لهذا الطور، فالوصف العلميُّ بالعلقة حافظ على هذه الكلمة المعبرة الدقيقة، ويلاحظ في الآيات السابقة التغاير في استعمال حرفي العطف "ثم" و"الفاء"، ومعلوم أنَّ الأول يفيد الترتيب مع التراخي، والآخر يفيد الترتيب مع التعقيب، وذلك مطابق لمقتضى الحال الوارد فيه كلُّ حرف كما أكدَّ ذلك البحث الطبيُّ (ينظر: النابلسي، 2005م،ص86)، ويرى الباحث أنَّ هذه الشواهد القرآنية أولى من غيرها عند الاستشهاد علي ما يتعلق بها من المسائل النحوية والبلاغية.

المجلد الثالث
العدد السادس
سبتمبر 2025

مجلة جامعة درنة للعلوم الإنسانية والاجتماعية
DERNA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
Available online at https://dujhss.uod.edu.ly/
P-ISSN: 2959-6475 E-ISSN: 2959-6483 Impact Factor: 0.82

المطلب الثالث: بلاغة الكلمة في آيات الكون

من مطابقة الكلام لمقتضى الحال في ذلك، قوله تعالى: {...وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون}[البقرة: 16]؛ حيث اختير التعبير بكلمة "التصريف" دون غيرها نحو "التبديل" أو "الاختلاف"؛ لأنَّ التصريف هو المطابق للحال الذي عليه الرياح، فمنشأ الريح من صرف بعض الهواء من مكان، وصرف غيره إلى مكانه؛ ولأجل هذا المعنى جاءت صيغة المبالغة على وزن تفعيل، وإذا كان معنى التصريف يشمل معنى التغيير، أي تبديل الريح من جهة إلى جهة أخرى، فإن في كلمة التصريف مجازاً مرسلاً علاقته الملابسة أو المصاحبة عند إسناده إلى الريح، وهو المطابق للحال، وشيء آخر مهم هو مراعاة الصوت؛ فكلمة التصريف أخف من كلمة التغيير (ينظر :الطبري،2001م،12/3،وابن عاشور ،1984م، 86/2)، ويلاحظ صوت الصفير في حرف الصاد، وهو مناسب لصوت الريح، ويستفاد من ذلك أن الكلمة مطابقة تماماً لمقتضى الحال المناسب للحقيقة العلمية، ولا يعبر عنه غيرها، وهذا إلى جانب بنائها الصوتي المعبر الرائق، ومن الشواهد على دقة الكلمة وصيغتها ودلالاتها ما جاء في قوله تعالى: {والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم}[الأنعام: 96]، فحسبان: مصدر حسب، بمعنى عدَّ، وهو صيغة مبالغة كغفران، والإخبار عنهما بالمصدر مجاز عقلي؛ لأنه في معنى اسم الفاعل، أي حاسبين، والحاسب في الحقيقة هم الناس، (ينظر: ابن عاشور ،1984م، 387/7)، وفُضّل التعبير بهذه الصيغة لأنَّها مطابقة لدلالاتها: وهي كثرة الحساب بالشمس والقمر كما هو معلوم، ليلاً ونهاراً، وشهوراً، وسنيناً، وشيء آخر مهم هو أنَّ (حركات الشمس والقمر على نظام واحد لا يختلف، وذلك من أعظم دلائل علم الله وقدرته، وهذا بحسب ما يظهر للناس منه، ولو اطلعوا على أسرار ذلك النظام البديع لكانت العبرة به أعظم)(ابن عاشور ،1984م، 387/7)، ومن هذا السبيل قوله تعالى:{قال ربُّ المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون}[الشعراء:28]، ويقول: {ربُّ المشرقين وربُّ المغربين}[الرحمن: 17] ،ويقول: {فلا أُقسم برب المشارق والمغارب ... }[المعارج: 40]، فكل مكان على الأرض له مشرق، وله مغرب، وهذا مطابق لقوله تعالى: {ربُّ المشرق والمغرب}، ثم إن الشمس حين تشرق في مكان، فإنها تغرب في مكان آخر، وحين تغرب في مكان، تشرق في مكان سواه، إذن فمع كل مشرق مغرب، ومع كل مغرب مشرق؛ فهناك مشرقان ومغربان، وكذلك فإن الشمس لها مشرق كل يوم، ومغرب كل يوم، يختلف عن الآخر، وفي كل ثانية هناك شروق وغروب، وهذا مطابق لقوله تعالى:{ فلا أُقسم برب المشارق والمغارب} (ينظر: الشعراوي، 1997م، 5085/8)، وهذا يعني أنَّ استعمال الكلمة الواحدة مرة بالإفراد، ومرة بالتثنية، ومرة بالجمع، له دلالات، وفروق ينبغي أن تراعى، وشيء آخر مهم مفاده أنَّ للكلمة المفردة أثراً في النظم، على غير ما ذهب إليه عبد القاهر الجرجاني(ينظر: الجرجاني، 1992م، ص45).

المجلد الثالث
العدد السادس
سبتمبر 2025

مجلة جامعة درنة للعلوم الإنسانية والاجتماعية
DERNA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
Available online at https://dujhss.uod.edu.ly/
P-ISSN: 2959-6475 E-ISSN: 2959-6483 Impact Factor: 0.82

المبحث الثاني: بلاغة الآيات في الإعجاز العلمي على مستوى الجملة

المطلب الأول: بلاغة الجملة في آيات الإعجاز الغيبي

منه قوله تعالي:{يا أَهْلَ الْكتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دينكم ولَا تَقُولُوا علَى اللَّهِ إلا الْحَقَّ إنَّمَا الْمَسيح عيسى ابن مريم رسول اللَّه وكلمته أَلْقَاها إلَى مريم وروح منه فآمنوا باللَّه ورسله ولا تقولوا ثَلاثَةٌ انتهوا خيرا لَكم ...}[النساء: 171] في قوله:" ولَا تقولوا ثلاثَة" إشارة إلى دخول عقيدة التثليث في المسيحية، تلك العقيدة تزعم أن الإله مجموع ثلاثة أشياء، الأول: الأب، والثاني: الابن، والثالث: روح القدس، تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً، وبعد ذلك صارت المسيحية على ثلاث فرق: الملكانية، واليعقوبية، والنسطورية، ولكل فرقة قول(ينظر:ابن حزم،1996م،109/1 ،وما بعدها)، والخلاصة كما يقول ابن عاشور: (ليعلم حسن الْإيجاز في قوله تعالى: "ولا تَقولوا ثَلاثَةٌ" وإتيانه علَى هذه الْمذاهب كُلّها، فلِلّه هذَا الْإعجاز الْعلْميُّ)(ابن عاشور، 1984م، 56/6).

ومن دقائق التعبير بالجملة قوله تعالى في شأن فرعون:{فالْيوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلْفك آية وإنَّ كثيرا من النَّاس عن آياتنا لَغَافلُون} [يونس: 92]،(وهي عبارة لَم يأت مثْلُها فيما كتب من أَخْبار فرعون، وإنَّها لَمن الْإعجاز الْعلْمي في الْقرآن؛ إذْ كانت الْآية منطبقة علَى الْواقع التَّاريخي)(ابن عاشور،1984م،280/11)، فالتعبير بجملة "لتكون لمن خلفك آية" يتجاوز حدود الزمان والمكان فهو تعبير مطلق إلى قيام الساعة.

أما أخبار المستقبل فإنَّ التعبير القرآني فيها جاء مفتوح الدلالة، واسع الآفاق، من ذلك قوله تعالى: {والْخيل والْبغَال والْحمير لتركَبوها وزينةً ويخلُق ما لَا تعلَمون} [النحل: 8]، فهذه الآية من معجزات القرآن الغيبية؛ لأنَّ جملة "ويخلُق ما لَا تعلَمون" فيها إيماء إلى أنَّ الله سيلهم البشر اختراع مراكب هي أجدى مما ذُكر؛ فالله تعالى هو الذي ألهم المخترعين من البشر الاختراع؛ فهي بذلك مخلوقة لله تعالى؛ فالكل من نعمته(ينظر: ابن عاشور،1984م،111/14،والشعراوي،1978م، ص37)، ولا تخفى دلالة المضارع على التجدد والحدوث، ثم نفي العلم عن البشر أن يعلموا ما ينتظرهم من خلق جديد.

المطلب الثاني: بلاغة الجملة في آيات الخلق

قال الله عزَّ وجلَّ: {والذين يتوفَّون منكم ويذَرون أَزواجا يتَربَّصن بأَنْفُسهنَّ أَرْبعةَ أَشْهرٍ وعشْراً}[البقرة: 234]، فلماذا حددت مدة التربص بالعدد المذكور في الآية دون غيره؟، والجواب عن ذلك يتعلق بخلق المرأة وطبيعتها، كما تذكر الأبحاث الطبية؛ حيث تمر الحامل بثلاث مراحل، الأولى: مرحلة الشك، وفيها ينقطع الحيض، والثانية: مرحلة الظن، وفيها اضطرابات نفسية، وهرمونية، والثالثة: مرحلة اليقين، وفيها ينبض قلب الجنين في

المجلد الثالث
العدد السادس
سبتمبر 2025

مجلة جامعة درنة للعلوم الإنسانية والاجتماعية
DERNA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
Available online at https://dujhss.uod.edu.ly/
P-ISSN: 2959-6475 E-ISSN: 2959-6483 Impact Factor: 0.82

اليوم السادس والعشرين بعد المئة، أي في اليوم العاشر بعد الأشهر الأربعة (ينظر: النابلسي، 2005م، ص93)، وفي التعبير بقوله: "يتربَّصن بأنفُسهنَّ" تلميح لا تصريح؛ لأن هذا الأسلوب هو الأنسب للتعبير عما يتشوفن إليه، ويرغبن فيه من زواج جديد، زيادة على ذلك فإن في هذا الأسلوب تجنباً لإخجالهنَّ، وتوقياً من تنفيرهنَّ، أو التنفير منهنَّ (ينظر :رضا،1947م، 371/2، 372)، وعند مزيد من التدبر تتجلى دلالات أخرى، (فإن قلت: فما معنى الإخبار عنهن بالتربص؟ قلت: هو خبر في معنى الأمر، وأصل الكلام: وليتربص المطلقات، وإخراج ا لأمر في صورة الخبر تأكيد للأمر، وإشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى امتثاله، فكأنَّهنَّ امتثلن الأمر بالتربص، فهو يخبر عنه موجوداً) (الزمخشري،1986م، 270/1)، وخلاصة القول: إنَّ هذا الفعل له دلالات مفيدة في هذا المقام مما ينبغي أن يراعي مثله البلغاء.

المطلب الثالث: بلاغة الجملة في آيات الكون

من بديع ذلك قوله تعالى: {وإذا البحار سجرت} [التكوير: 6]، فإسناد الاشتعال إلى البحار شيء عجيب، والعلم الحديث (أثبت أنَّ الماء يتألف من غازي الهيدروجين والأوكسجين، يمكن فصلهما من الماء بالتحليل الكهربائي، وهما غازان مشتعلان، وهذا يدل على أنَّه يمكن أن يشتعل الماء)،(أبو شوفة، 2003م، ص38) وهذا إسناد لطيف في العربية: اشتعال الماء.

ويقول عزَّ وجلَّ: {اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا...}[الرعد: 17] تشير هذه الآية الكريمة إلى أنَّ الله تعالى خلق السموات مرتفعات بغير عمد، يمكن رؤيتها بالبصر، جاء تفسير ذلك عن ابن عباس، ومجاهد، والحسن، وقتادة، أنهم قالوا: لها عمد، ولكن لا ترى (ينظر: ابن كثير، 1999م، 429/4)، ولو قيل "بغير عمد" فحسب؛ لكان ذلك نفياً مطلقاً للعمد، مرئية وغير مرئية، والنفى المطلق يخالف الواقع الذى أودع الله تعالى فيه آياته، ووعد بإظهارها مستقبلاً على أيدى من يشاء من عباده، وبهذا يكون المعنى العام أنَّ الله تعالى خلق السموات، ورفعها من غير دعائم مرئية، ويمكن تصور هذه الدعائم غير المرئية_ من منظور العلم الحديث_ بأنها من نوع القوى المجالية، تعمل وفق قانون محدد؛ من أجل حفظ الاتزان الكونى، والإمساك بالأجرام السماوية في أفلاكها، ومنعها من الانفراط في الفضاء، أو الوقوع على بعضها البعض(ينظر: مجموعة مؤلفين، 2002م، ص700 ، والنجار، 2007م، ص380، وما بعدها)، فهذه الجملة "بغير عمد ترونها" تفتح آفاقاً واسعة من التدبر، فهي متوائمة مع وصف السماء بالبناء في آيات أخرى كثيرة(منها: البقرة: 22)، والعمد من أساس البناء.

المجلد الثالث
العدد السادس
سبتمبر 2025

مجلة جامعة درنة للعلوم الإنسانية والاجتماعية
DERNA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
Available online at https://dujhss.uod.edu.ly/
P-ISSN: 2959-6475 E-ISSN: 2959-6483 Impact Factor: 0.82

المبحث الثالث: بلاغة الآيات في الإعجاز العلمي على مستوى الصورة

المطلب الأول: بلاغة الصورة في آيات الإعجاز الغيبي

من الشواهد على ذلك قوله تعالى:{إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [آل عمران: 59]، وهذا من أسلوب التمثيل، ومحلُّه أن الله تعالى خلق عيسى من غير أب، كما خلق آدم من غير أب ولا أم؛ بل من تراب، وهو من باب القياس على الأقوى، وقوله: "عند الله" (عبارة عن الحق في نفسه، أي هكذا هو الأمر فيما غاب عنكم)(ابن عطية،2001م،445/1)، ومن بديع البلاغة قوله تعالى: "فيكون"،(ولم يقل فكان؛ لاستحضار صورة تكوُّنه)(ابن عاشور، 1984م،263/3)، وهذا التعليل باستحضار صورة تكوُّنه_ أي كأن ذلك الحدث يحدث الآن ماثلاً للعيان_ هو من الإعجاز البلاغي العلمي؛ لأنَّ في هذه الآية سبقاً علمياً، مفاده أن البشر جميعاً: الأحياء منهم والأموات، ينتهي نسبهم إلى أب واحد، وأم واحدة، هما آدم وحواء عليهما السلام، (ولما كان عيسى عليه السلام من نسل آدم، مخلوق من تراب؛ فإن جسد عيسى بن مريم يحوي بالقطع جزءاً من التراب الموروث عن أبيه لآدم، وقد غُذي بدم ولبن أمه، وهو أيضاً مستمد من عناصر التراب، فهو مخلوق من تراب، كذلك أثبتت محاولات الاستنساخ في النبات والحيوان إمكانية إنتاج جنين من أم بلا أب، وإذا استطاع الإنسان _على ضعفه_ تحقيق ذلك فإنه لا يعجز خالق الإنسان)(النجار،2007م ،ص146).

ونرى دقة التصوير في قوله تعالى:{فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ}[المائدة: 31]؛ فمن الدلالات العلمية في هذه الحادثة التاريخية صورة الغراب دون غيره من الطيور؛ وذلك لأنه يدفن موتاه، حيث إن الغراب يقوم بحفر الأرض بواسطة مخالبه ومنقاره؛ ليكوِّن حفرة عميقة فيها، ثم يقوم بطي جناحي الغراب الميت وضمهما إلى جنبيه، ورفعه برفق لوضعه في قبره، ثم يهيل علي التراب حتى يخفي جسد الميت، تماماً كما يفعل المسلمون بموتاهم، وقد ثبت علمياً أن الغراب هو أذكى الطيور، وأمكرها على الإطلاق، ويعلل ذلك بأنه يملك أكبر حجم لنصفي المخ بالنسبة إلى حجم الجسم في كل الطيور المعروفة، (ينظر: النجار، 2007م، ص191_196)، وهذا التصوير مطابق للواقع العلمي؛ مما يحمل العلماء على تتبع الصورة القرآنية على جميع مستوياتها في كشف الواقع الفعلي.

المجلد الثالث
العدد السادس
سبتمبر 2025

مجلة جامعة درنة للعلوم الإنسانية والاجتماعية
DERNA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
Available online at https://dujhss.uod.edu.ly/
P-ISSN: 2959-6475 E-ISSN: 2959-6483 Impact Factor: 0.82

المطلب الثاني: بلاغة الصورة في آيات الخلق

قال تعالى: {فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ} [الأنعام: 125]، بعد أن سخَّر الله تعالى التقدم العلميَّ للعلماء استطاعوا التعرف على ظاهرة طبيعية، وهي نقص أوكسجين الهواء في طبقات الجو العليا؛ حيث إن الصاعد في الجو يشعر بصعوبة، وضيق في التنفس، يزداد مع زيادة الصعود (ينظر: النجار، 2007م، ص261، وما بعدها)، وفي هذه الآية تشبيه تمثيليٌّ لحال المؤمن المنشرح الصدر، مقابلاً لحال الضال الذي يضيق صدره كأنه يصعد في السماء، وهو من أبدع طرائق التصوير؛ لأنه منتزع من متعدد، ونرى طرائق المبالغة المتوالية في هذا التشبيه، والعجيب أن الكلمات تحوي قراءات متعددة؛ تصور مشاهد متنوعة أو متدرجة، متطابقة تماماً مع الوصف العلمي، والواقع الفعلي لحال الصعود في السماء، فكلمة " ضيقاً" وصف بالمصدر وهو من المبالغة، ولكن بالتدرج؛ إذ قرأها ابن كثير بإسكان الياء مخففة، بينما قرأها الباقون بكسرها مشددة (ينظر: ابن الجزري، د.ت، 262/2)، وهكذا هو الحال تماماً لمن يبدأ الصعود في السماء دون أجهزة؛ حيث يضيق عليه النفس كلما ازداد صعوداً، (ثم إتباع الضَّيق بالحرج: لتأكيد معنى الضيق، لأَنَّ في الحرج من معنى شدَّة الضيق ما ليس في ضيق، والحرج- بكسر الرَّاء- صفة مشبَّهة بمعنى ضاق ضيقا شديدا، وكذلك قرأه نافع، وشعبة، وأبو جعفر، وأمَّا الباقون فقرأوه "حرجاً" بفتح الرَّاء، على صيغة المصدر) (ابن عاشور، 1984م، 57/8، وينظر: ابن الجزري، د.ت، 262/2)، فهو من الوصف بالمصدر لزيادة المبالغة، ثم كلمة "يصَّعَّد" فيها ثلاث قراءات، الأولى: قراءة ابن كثير "يصعد" بإسكان الصَّاد وتخفيف العين من غير ألف، والثانية: قراءة الجمهور "يصَّعَّد" بتشديد الصَّاد والعين من غير ألف، والثالثة: قراءة عاصم برواية شعبة "يصَّاعد" بفتح الياء والصَّاد مشدَّدة وألف وتخفيف العين، (ينظر: ابن الجزري، د.ت، 262/2)، وواضح من هذه القراءات الثلاث أنها تصور ثلاث مراحل للصعود: يصعد، ثم يصَّعَّد، ثم يصَّاعد، ونلاحظ في الثالثة المد بالألف الذي يعطي الكلمة دلالة واسعة، وزيادة على ما سبق فإن التعبير لم يأت يصعد إلى السماء، وإنما جاء بحرف الظرفية (في) وكأنه يشق السماء شقاً من داخلها فقال "في السماء"، وخلاصة القول: تشبيه الضال بأنه يتدرج في ضلاله حتى يهلك، بحال من يتدرج في الصعود إلى السماء حتى يضيق صدره ثم يهلك، ويرى الباحث أن التمثيل بالصورة العلمية اعتمد على صورة بلاغية دقيقة، قائمة على اختيار الكلمات متعددة القراءات؛ لتصور مشاهد متدرجة، متوافقة لا متعارضة، وفيها وصف الضيق بالحرج، وكذلك بيان الفرق بين الصيغ الصرفية، وأثرها في الدلالة العلمية والبلاغية؛ ولعله يكون تشبيهاً مبتكراً لحال الضيق الذي يعانيه الضال عن سبيل الله، وكذلك فهو من أوضح الشواهد على مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

المجلد الثالث
العدد السادس
سبتمبر 2025

مجلة جامعة درنة للعلوم الإنسانية والاجتماعية
DERNA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
Available online at https://dujhss.uod.edu.ly/
P-ISSN: 2959-6475 E-ISSN: 2959-6483 Impact Factor: 0.82

وليس ببعيد عن ذلك قوله تعالى:{فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}[الأعراف: 176]، في هذه الآية تشبيه تمثيليٌّ لحال المنسلخ من آيات الله بحال الكلب إذ يلهث (وليس لشيء من الحيوان حالة تصلح للتشبيه بها في الحالتين غير حالة الكلب اللاهث، لأنَّه يلهث إذا أتعب وإذا كان في دعة، فاللهث في أصل خلقته، وهذا التمثيل من مبتكرات القرآن) (ابن عاشور، 1984م، 173/9)، ومن مبتكرات العلم الحديث أن الكلب هو الحيوان الوحيد الذي يلهث بطريقة تكاد تكون مستمرة، وذلك في محاولة منه لتبريد جسده الذي لا يتوفر له شيء يذكر من الغدد العرقية إلا في باطن قدمه فقط، فيضطر إلى ذلك اللهاث شبه المستمر (ينظر: النجار، 2007م، ص311)، وهكذا يكون الإعجاز العلميُّ في هذه الآية قد اعتمد على ابتكار صورة من التشبيه لحال المتلجلج في دينه.

المطلب الثالث: بلاغة الصورة في آيات الكون

يلاحظ في الآيات الكونية على وجه الخصوص كثرة التشبيهات والاستعارات التي يمكن القول إنها تكاد تكون على الحقيقة، لو جاز هذا القول، وأكثر من ذلك فإنه من المعلوم في الصورة البلاغية التشبيهية أنه لا يمكن أن يتطابق فيها الطرفان تمام الانطباق، عدا ما ورد في القرآن، على نحو قوله تعالى: {أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا}[النبأ: 32، 33}، فالجبال تشبه الأوتاد من ناحية البروز عن سطح الأرض، ومن ناحية الرسوخ فيها، ولقد كشف العلم حديثاً أنَّ للجبال جذوراً تمتد إلى الأغوار العميقة إلى عمق يصل إلى حوالى 75 كيلومتراً، وغرس الجبال على هذا النحو فى الطبقة اللزجة التى تحت طبقة الصخور، هو الذى يساعد على تثبيت القارات، ويمنعها أن تطوف أثناء دوران الأرض، ولنتأمل كذلك ما تدل عليه كلمة "رواسى" من مقارنة تقتضى أن يكون جوف الأرض سائلاً، وأن تستقر الجبال عليه مثلما تستقر السفينة الراسية على ماء البحر (ينظر: مجموعة مؤلفين،2002م، ص:705،706)، ويستفاد من ذلك أنَّ الأحسن في صور التشبيه ما تطابق فيه الطرفان، ومن الشواهد على ذلك أيضاً قوله تعالى:{فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ}[الرحمن:37] ، هذه الآية من عجائب الإعجاز العلمي في القرآن؛ ذلك أنه (في الواحد والثلاثين من تشرين الأول من عام (1990م) عرضت إحدى أقوى وكالات الفضاء في العالم من خلال مرصد عملاق عبر موقعها المعلوماتي صورة، لا يشكُّ الناظر إليها لحظة أنها وردة جوريّة، ذات أوراق حمراء قانية، محاطة بوريقات خضراء زاهية، وفي الوسط كأس أزرق اللّون، أما حقيقة هذه الصورة فهي صورة لانفجار نجم عملاق، اسمه عين القطّ، يبعد عنا ثلاثة آلاف سنة ضوئية)،(ينظر: النابلسي، 2005م، 17/2)، ولتأكيد ذلك ننظر كيف وصف القرآن السماء وما فيها من كواكب؛ فإن صورتها القرآنية في غاية الدقة والابتكار؛ حيث جاء وصفها

المجلد الثالث
العدد السادس
سبتمبر 2025

مجلة جامعة درنة للعلوم الإنسانية والاجتماعية
DERNA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
Available online at https://dujhss.uod.edu.ly/
P-ISSN: 2959-6475 E-ISSN: 2959-6483 Impact Factor: 0.82

بالبناء، والسقف، والحفظ، وأنها ليست بذات فروج، وغير ذلك(ينظر: البقرة: 22، الأنبياء: 32، ق: 6)، فالصور الكونية تتضافر فيما بينها، وتتفاعل في السياق الواردة فيه؛ كي تحقق وظيفتها الدينية، ويكفي أن يتصور الإنسان هذه الكتل الضخمة فوق رأسه؛ ليدرك قدرة الله عليه، وقد كثر في القرآن الكريم تصوير هذه المشاهد الكونية الضخمة؛ ليقارن الإنسان بين خلقه، وبينها؛ ليشعر أن خلقه أهون، وأصغر، من هذه المشاهد التي يراها فوقه، ولعل هذا ما يشير إليه قوله الله تعالى: {أَأَنْتم أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّماء بناها، رفَع سمكَها فَسوَّاها} [النازعات: 27 -28] وتتجلى قدرة الله سبحانه في الصورة الكونية والصورة النفسية معاً، ويمتد تصوير حركة الكواكب في السماء، فترسم الصورة حركتها في ظهورها واختفائها، بمشهد حي شاخص، فيه الحركة الرشيقة، والإيحاء العميق، فهي في حركتها طالعة، وغائبة، تشبه حركة الظباء الجارية على الأرض، التي تختبئ في كناسها؛ لتظهر من ناحية أخرى، يقول تعالى في وصفها: {فَلا أُقْسِم بِالْخُنَّسِ* الْجوارِ الْكُنَّسِ}[التكوير: 15، 16] (ينظر: الراغب، 2001م، ص505، وما بعدها)، ومع كل ما تَقدم من غرض عقدي ونفسي، فإن الغرض اللغوي والبلاغي حاضر في بيان الإعجاز العلمي، وهو بدوره أظهر تلك التشبيهات العجيبة، والأساليب الرفيعة.

النتائج

- أظهر البحث شواهد دقيقة وواضحة لمسألة مطابقة الكلام لمقتضى الحال وهي المسألة التي تدور عليها البلاغة، وعلم المعاني على وجه الخصوص.
- تدور أكثر آيات الإعجاز العلمي على أسلوب الإيجاز والتركيز.
- تبيَّن أثر الكلمة المفردة في النظم، من خلال الإعجاز العلمي.
- الصورة القرآنية لها خصوصية في المطابقة بين أطرافها وأجزائها.

التوصيات

- يحتاج هذا الموضوع إلى مزيد من الدراسة والكشف عن فوائده.
- مراعاة التواصل والتلاؤم بين وجوه الإعجاز المتنوعة.
- تقديم الشواهد القرآنية _ومنها ما يخص آيات الإعجاز العلمي_ عند الاستشهاد على المسائل البلاغية.
- التنبه إلى تعدد القراءات القرآنية عند البحث في أي موضوع قرآني.

المجلد الثالث
العدد السادس
سبتمبر 2025

مجلة جامعة درنة للعلوم الإنسانية والاجتماعية
DERNA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
Available online at https://dujhss.uod.edu.ly/
P-ISSN: 2959-6475 E-ISSN: 2959-6483 Impact Factor: 0.82

المصادر والمراجع

-الجرجاني: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، (ت:471هـ)، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود شاكر، ط3، 1992م، مطبعة المدني بالقاهرة.

-ابن الجزري: أبو الخير محمد بن محمد، (ت:833هـ)، النشر في القراءات العشر، تحقيق: الضباع، د.ت، المطبعة التجارية الكبرى، القاهرة.

-ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد الأندلسي، (ت: 456هـ)، الفصل في الملل والأهواء والنِّحل، تحقيق محمد إبراهيم نصر، وعبدالرحمن عميرة، ط2، 1996م، دار الجيل، بيروت.

-الراغب، عبد السلام أحمد، وظيفة الصورة الفنية في القرآن، ط1، 2001م، فصلت للدراسات والترجمة والنشر، حلب.

-رضا: محمد رشيد، (ت: 1354هـ)، تفسير المنار، ط2، 1947م، دار المنار، القاهرة.

-الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمر، (ت: 538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط3، 1986م، دار الكتاب العربي، بيروت.

-الشعراوي: محمد متولي.

-تفسير الشعراوي "الخواطر"، ط1، 1997م، مطابع أخبار اليوم، القاهرة.

-معجزة القرآن، ط1، 1978م، المختار الإسلامي، القاهرة.

-أبو شوفة، أحمد عمر، المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة، ط1، 2003م، دار الكتب الوطنية، بنغازي.

-الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، (ت:310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، 2001م، دار هجر، القاهرة.

-طنطاوي: محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط1، 1998م، دار نهضة مصر، القاهرة.

-ابن عاشور، محمد الطاهر، (ت: 1393هـ)، التحرير والتنوير، ط1، 1984م، الدار التونسية للنشر، تونس.

المجلد الثالث
العدد السادس
سبتمبر 2025

مجلة جامعة درنة للعلوم الإنسانية والاجتماعية
DERNA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
Available online at https://dujhss.uod.edu.ly/
P-ISSN: 2959-6475 E-ISSN: 2959-6483 Impact Factor: 0.82

-ابن عطية: أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي، (ت: 542هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، 2001م، دار الكتب العلمية، بيروت.

-ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر، (ت: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، ط2، 1999م، دار طيبة، القاهرة.

-مجموعة مؤلفين، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، الموسوعة القرآنية المتخصصة، 2002م، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة.

-ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم، (ت: 711هـ)، لسان العرب، ط3، 1993م، دار صادر بيروت.

-النابلسي: محمد راتب، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ط2، 2005م، دار المكتبي، دمشق.

_النجار: زغلول، تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم، ط1، 2007م، دار الشروق الدولية، القاهرة.